# سلامة الصدر

# في

# شهر الصبر

خطبة الجمعة للشيخ الفاضل عبد الكريم بن قاسم الدولة (حفظه الله)

ألقيت في مسجد السنة – حي الشيخ زايد – مدينة الحديدة بتاريخ ٧ رمضان ١٤٣٨هـ

جزى الله خيراً الأخ الذي قام بتفريغها ونشرها

## الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّه الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّه كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّه وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١]

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صل الله عليه وعلى آله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعه وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها المؤمنون عباد الله هاهو ربع رمضان قد انقضى واسبوع منه قد انطوى ولله الحكمة البالغة، ألا فلنتدارك أنفسنا يا عباد الله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) ويقول الله عزوجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾.

عباد الله الله سبحانه وتعالى يبين لنا في هاتين الآيتين أنه لاينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة حتى يكون صدره سليماً ولما كانت أمراض القلوب ودخائلها ودغائلها أمور صعبة لا يتأتى للعبد بل يصعب عليه أن ينتزعها من قلبه وأن يستخرجها من سويداء نفسه وأن يصفي نفسه وصدره ويشرحها، الله عزوجل تولى ذلك بنفسه حتى تعلم يا عبدالله أن الجنة صافية، صافية من الأكدار من الأقذار، أن الجنة نقية في نعيمها، أن الجنة صافية، صافية فيما أعد الله عزوجل لأهلها، ولذلك لا يدخلها إلا الأنقياء، لايدخلها إلا الأصفياء الذين سلمت ظواهرهم وبواطنهم وصلحت نياتهم وأعمالهم، الذين صفت عقائدهم ومناهجهم، الذين صفت صدورهم وقلوبهم، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي

صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ الله ينزع هذا الغل ويصفي تلك القلوب ويجلي تلك النفوس ليؤهلهم لدخول تلك الجنة التي لا بغي فيها ولا غل ولا حقد ولا حسد، لأنهم إخوان على سرر متقابلين، وهذه الأمور والأمراض تناقض الأخوة وتنافيها وتهد من أركانها وتستأصلها استئصالاً، لايوجد بعده بقاء حتى لمثقال ذرةٍ من إيمان والعياذ بالله، لذلك جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال: ((أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم كأشد كوكب دري إضاءة في السماء على قلب رجلٍ واحد، ليس في قلوبهم بغيٌ ولا حسد، لكلٍ منهم زوجتان من الحور العين يُرى مخ ساقها من وراء العظم واللحم ...))

انظر كيف بين النبي عليه الصلاة والسلام أن جمال أهل الجنة أن بهاء صورهم أن حسن مظهرهم إنما هو ناتج عن ذلك الجمال الذي أضفاه الله سبحانه وتعالى وألبسه الله عزوجل على قلوب أولئك الذين اصطفاهم واختارهم وأهَّلهم ليكونوا من أهل الجنة، فإن جمال القلوب وجمال السرائر وصفائها ونقائها إنما هو ينتج آثاراً على ذلك الوجه وعلى تلك الصور فيجملهم الله سيحانه وتعالى بجمال بهي ويجعل الله عزوجل لهم من النور والبهاء والجمال مالم يكن لأحد من قبلهم، نعم يا عباد الله، فلذلك شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن شهر رمضان الذي تفتح فيه أبواب السماء وتفتح فيه أبواب الرحمة، شهر رمضان الذي يعتق الله عزوجل في كل يوم وليلة وعند كل فطر من يشاء من عباده يعتقهم من النار جوداً منه وفضلاً منه وإحسانا، قال بعض السلف: (أهل الجنة نجو من النار بعفو الله ودخلو الجنة برحمة الله ونالوا المنازل بأعمالهم التي اجتهدوا فيها في الدنيا)

شهر رمضان إنما هو وقاية من هذه الأمراض كما جاء عند البزار من حديث علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((صيام شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يُذْهِبْنَ وَحَرَ الصَّدْرِ)) فيا لله كيف ينقضي على كثير من الناس رمضان ولاتزال صدورهم في وحرها ولاتزال قلوبهم في دغلها ولاتزال نفوسهم في أمراضها

شهر الصبر الذي يذهب وحر الصدر، هذا لما يكابد الصائم من صوم النهار وقيام الليل وقراءة القرآن وجل الأعمال الصالحة، يذهب الله عزوجل بذلك كله -إن صدق مع الله عزوجل- مايجد في صدره من الوحر وما يجده في صدره من الإحن والمحن والفتن ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ

ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ قال الله عزوجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

اعلم يا عبدالله أن الله عزوجل ذكر الصيام وذكر التقوى ولتعلم أن من لوازم التقوى صفاء النفوس وسلامة القلوب على إخوانك المسلمين، يقول الله عزوجل : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

ولا يمكن لذات البين أن تصلح ولا يمكن للأواصر أن تجتمع ولا للروابط أن تتحد؛ إلا إذا كانت النفوس صافية والقلوب سليمة من أمراضها ومما يدخل فيها ويسيطر على وجهاتها واتجاهاتها، هكذا يا عبد الله ، فهذه من لوازم التقوى، وقد هيَّأ الله عزوجل لك هذا الموسم لتعالج هذا الأمر الذي يجده كل مسلم في نفسه، قال شيخ الإسلام بن تيمة رحمة الله تعالى عليه: ماخلا جسد من حسد ولكن الكريم يخفيه واللئيم يبديه

الكريم يعالجه، الكريم يحاول أن يجتثه، يحاول أن يستأصله، يحاول أن يخففه، يحاول أن يذهبه، الكريم يخفيه واللئيم يبديه، هكذا فلتكن يا عبدالله معالجاً لنفسك في هذا الشهر الكريم معالجاً لصدرك معالجاً لقلبك، فبهذا تصفوا النفوس وتسلم القلوب.

اعلم يا عبدالله أن سلامة النفوس وصفاء القلوب من المنن الكبرى والنعم العظمى التي أمتن الله عزوجل بها على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، فرب العزة يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

شرح الله صدره، شرح الله قلبه، شرح الله نفسه، ملأها إيماناً وعلماً وحكمة وفقهاً، ونزع منها حظ الشيطان من كل ما يمرضها ويفسدها.

جاء في حديث شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان من دعائه (( وأسألك قلباً سليما))

إن سلامة القلب وصفاء النفس ونقاء الصدر نعمة عظيمة لا يهبها إلا الله سبحانه وتعالى لمن بذل أسبابها، لذلك قال الله عزوجل عن أهل الإيمان الذين اجتمعوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فبذلوا النفس والنفيس فرضي الله عنهم ورضوا عنه قال الله عزوجل:

﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾

عن زيد بن أسلم رحمه الله تعالى قال: دخلت على أبي دجانة وهو مريض فرأيت وجهه يتهلل

قلت مالي أرى وجهك يتهلل؟ قال: إني تركت الكلام في ما لا يعنيني، وأجد صدري سليماً على إخواني المسلمين –أو بهذا المعنى

بعد وقعت الجمل التي شهرت فيها السيوف والتحمت فيها الصفوف ممن رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه، لقي بعد هذه الوقعة علي ابن ابي طالب رضي الله عنه طلحة ابن عبيد الله، وكلاهما من العشرة المبشرين بالجنه، - انظر يا عبدالله كيف التقت سيوف العشرة المبشرين بالجنة، كيف يا عبدالله أن الفتن تفعل فعلها وتعمل عملها في أواسط أولئك الأخيار الأبرار الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى، فما حالي وحالك ووزني ووزنك وقيمتي وقيمتك إليهم! - لقي علي ابن ابي طالب طلحة ابن عبيد الله رضي الله تعالى عنهما مُلقى في أحد الأودية فنزل إليه ومسح التراب عن وجهه وقال : إني لأجد في نفسي يا أبا محمد أن تكون ملقى في وادي من الأودية تحت نجوم السماء.

حزن رضي الله تعالى عنه أن يحصل بينهم فرقة بعد اجتماع أن يحصل بينهم اختلاف بعد ائتلاف ولكن هذا شأن من لم يُكتب لهم العصمة من الله عزوجل، لكن انظر مع ذلك كانت القلوب سليمة منهم رضي الله تعالى عنهم.

وفي وقعة آخرى وملحمة كبرى؛ في وقعة صفين خرج علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يستعرض عسكره، فنظر إلى عسكر الشام وعلى رأسهم معاوية ابن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه، فقال: اللّٰهُمَّ اغفر لي ولأهل الشام.

يستغفر لهم مع أن صبح تلك الليلة كان صبحاً مشهودا ويوماً عظيما، فُقد فيه من فُقد، وقُتل فيه من قُتل، وجُرح فيه من جُرح، حتى من شدة القتل والاقتتال تعاضض القوم بأفواههم- ولا حول ولا قوة إلا بالله- ومع ذلك كانت النفوس سليمة والصدور صافية، يستغفر لهم وهو يصبح في حرب معهم، اللّٰهُمَّ اغفر لي ولأهل الشام

أقول ماسمعتم واستغفر الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية:

الحمدلله وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

عن إياس ابن معاوية ابن قرة قال: كان أفضلهم عندهم- يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- أسلمهم صدرا وأقلهم غيبة.

قيل لرجل من السلف يُدعى أبا بشر رحمه الله تعالى: كيف سبقنا القوم؟

قال إنهم عملوا يسيرا وأُجروا كثرا

قالوا له وبم ذلك؟

قال: بسلامة صدورهم.

جاء عند الإمام أحمد من حديث أنسٍ رض الله تعالى عنه في قصة ذلك الرجل الذي قال عنه عليه الصلاة والسلام يقول لأصحابه ((يطلع عليكم رجلٌ من أهل الجنة)) ثلاث مرات، حتى صحبه عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنه، فوجد من عمله أنه قال: إني لا أحسد أحد على ما آتاه الله من فضله، وأبيت ليس في نفسي على أحدٍ من المسلمين شيئاً.

بهذه الخصلة وبتلك الخلة الرسول عليه الصلاة والسلام بشره بالجنة فكان من المبشرين بالجنة

لأن هذه هي خلة وصفة أهل الجنة ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾

عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يُبَلِّغُنِي أحدٌ من أصحابي عن أحدٍ شيئًا، فإنِّي أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سَلِيم الصّدر)) أي على الناس على أصحابه رضوان الله تعالى عليهم لأن القالة تفسد الأُخوة، توغر الصدور.

جاء رجلٌ إلى الإمام الشافعي قال له إن فلان يقول فيك كذا وكذا، قال له الشافعي: أما وجد الشيطان رسولاً غيرك!

يرسله لكي يثير العداوة في النفوس ويوغر الصدور ويجرح القلوب فتتقطع الأواصر وتختلف القلوب وتتباعد الأبدان وقبلها تتباعد الأرواح والقلوب نسأل الله السلامة والعافية.

يا عبدالله إنه كما نصون صيامنا من الأكل والشرب وسائر المفطرات الواضحة من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس فيجب علينا أن نصون صيامنا من الإحن والمحن والفتن، أن نصون صيامنا من هذه الأمراض، بل ليس الصيام فحسب بل نصون سائر أعمالنا من هذه الأوساخ والأقذار.

قال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة: (( تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا))

فسلامة لي ولك وصيانة لعملي وعملك؛ أن نتجنب ما يثير العداوة وما يزرع الفتن وما ينشر التباغض فيما بين الإخوان المتحابين وما بين أصحاب الصف الواحد حتى لا يغضب الله سبحانه وتعالى علينا، لأنه ماتواد اثنان في الله عز وجل فَفُرِّق بينهما إلا بسبب ذنب أحدثه أحدهما.

لذلك نستعين بالله سبحانه وتعالى، قال الله عزوجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

أسأل الله عزوجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا من عباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

اللّٰهُمَّ إنا نسألك العزيمة على الرشد، والثبات في الأمر، ونسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، ونسألك قلوباً سليمة، ونسألك من خير ماتعلم، ونعوذ بك من شر ماتعلم، ونستغفرك لما تعلم يارب العالمين.

اللّٰهُمَّ إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى

اللّٰهُمَّ اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عمن سواك ياذا الجلال والإكرام

اللّٰهُمَّ وأعنا على الصيام والقيام، اللّٰهُمَّ واجعلنا ممن يصوم رمضان ويقومه إيماناً واحتساباً، واجعلنا ممن يقوم ليلة القدر إيماناً واحتساباً، اللّٰهُمَّ واجعلنا من عتقائك من النار في هذا الشهر المبارك ياذا الجلال والإكرام، اجعلنا ممن رضيت عنهم وغفرت لهم وكتبت منازلهم في الفردوس الأعلى من الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات

وصلى الله وسلم على محمدٍ وآله